خطبة صلاة الجمعة 2025/5/9 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الأشهر الحرم والمحافظة على الأمن)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]

وقال سبحانه: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾ [قريش: 1-4].

عنوان خطبة اليوم:

الأشهر الحرم والمحافظة على الأمن

أيها الإخوة:

نحن في شهر ذي القَعدة وهو شهر حرام، أخرج البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«السَّنةُ اثنا عشر شهرًا منها: أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثَةٌ متواليات: ذو القعدة، وذو الحِجَّة والمحرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادَى وشَعبانَ»**

ومعنى شهرٍ حرام أي هو شهر يبسط فيه الأمن ويوضع فيه القتال –إلا ردًّا للعدوان– وتُضاعف فيه الحسنةُ كما تُضاعف السيئةُ.

ومكة والمدينة كلٌّ منهما بلد حرام، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن زيد، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«أن إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السلام لمكة»**

ومعنى تحريمِ مكة والمدينة بسطُ الأمن فيهما على الإنسان والحيوان والنبات.

وكأنّي بالقرآن والسنة يدعُوَان العالمَ إلى تحريم سائر المدن والأمكنة وسائر الأيام والشهور وليتخذوا من مكة والمدينة مثالاً ومن الأشهر الحرم أُسوة.

أيها الإخوة:

الأمن نعمة عظيمة كما تعلمون، ولا يهنأ عيش، ولا يقوى دين، ولا تستقيم سياسة، ولا يُبسَط عدلٌ، ولا تنهض بلدٌ إذا انعدم الأمن وسادت الفوضى والحروب.

ومن أجل هذا حملت جميع الرسالات السماوية الدعوة لتطبيق الأمن، وجرَّمت أيَّ محاولة للعبث بوجوده.

نقرأ في القرآن الكريم امتنان الله على أهل سبأ ببسط الأمن في قراهم: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: 18].

ونقرأ امتنانه سبحانه على قريش بنعمة الإطعام بعد الجوع والأمن بعد الخوف: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾ [قريش: 3-4].

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة الأمن على الإنسان فيقول ﷺ فيما رواه الترمذي عن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»

الأمن والأمان في اللغة مصدران بمعنى الطمأنينة وعدمِ الخوف؛ والأمن والإيمان والأمانة والأماني كلمات جذرها اللغوي واحد، وهو ما يفيد ارتباط بعضها ببعض، فإذا قوي الإيمان انتشرت الأمانة وساد الأمن وتحققت الأماني.

(السلام عليكم) تحية أهل الإسلام لأنّ الإسلام يحب الأمن والسلام ويسعى لبسطهما في الأرض، بينما يسعى أعداؤه للتجارة بالحروب ولإثارة الفوضى والقلاقل والفتن في كل أرض حلُّوا فيها.

(السلام عليكم) تحية أهل الجنة ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: 44] والسلام اسم من أسماء الله تعالى.

والأصل في علاقة المسلمين مع بعضهم المحبةُ والسلام، ومع غيرهم الأمنُ والسلام، لأنّ الإسلام جاء ليبني حضارة للبشرية على هذه الأرض، والنهضات والحضارات تحتاج إلى أمن لا خوف، وسلام لا حروب.

الأمن من أهم القضايا في الشريعة الإسلامية، وما جاءت الشريعة الإسلامية إلا لنشر الأمن والأمان على هذه الأرض.

واقرأ إن شئت مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة لتقرأ فيها أن هذا الدين جاء يوم جاء لحفظ أمن الأفراد والمجتمعات والدول.

فمقاصد الشريعة: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض والنسل، وحفظ المال.

وهذا يشمل ما يسمى اليوم الأمن الأيدلوجي، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن البيئي، والأمن الأسري، والأمن الغذائي، والأمن المائي، والأمن السياسي، والأمن السيبراني.

حرّمت الشريعة الإكراه في الدين وحرّمت الارتداد عن الدين، وحرمت مفارقة الجماعة وحرمت الخروج عن الحاكم العادل، وحرمت القتل والانتحار والاعتداء والسرقة والتجسس وشرب الخمر والمخدرات وأكل مال الغير بالباطل وإتلاف الزروع وإفساد الماء، وحرّمت الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

كلّ هذا لتحقق أمن الفرد والجماعة.

وأمرت الشريعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالدعوة إلى الله وبالتداوي وبستر العورات وبالمحافظة على مال النفس ومال الغير وتثميره والذود عن الأعراض وغرس الأشجار وإجراء الأنهار وصَدّ العدو عن البلاد والجهاد في سبيل الله.

كلّ هذا لتحقيق أمن الفرد والجماعة.

يقول توماس آرنولد في كتابه "الدعوة إلى الإسلام":

(لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في (فحل) كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكفّ عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنّهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا)

ويقول: (أغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أنّ ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم).

إنه الأمن والإيمان والأمانة التي يبسطها الإسلام ويدعونا لبسطها والمحافظة عليها لننهض.

أيها الإخوة:

ونحن نتحدث عن المحافظة على الأمن يسعُنا أن ندعوَ لشبابنا من رجال الجيش ورجال الأمن العام المرابطين على الثغور ثابتين، المحافظين على الحرمات جاهدين، الباذلين أرواحَهم وأعمارَهم لله مخلصين، ليحفظوا لنا الأمن والأمان.

اللهم كافئهم بالإحسان إحساناً، وبالإكرام إكراماً، واحفظهم سالمين، ورُدّهم لأهلهم غانمين، وبارك أرزاقهم وأزواجهم وأولادهم، واجعلهم في حِرزك وعِياذك وحِصنك وأمانك وكفايتك وكفالتك، واجزهم عن البلاد والعباد خير الجزاء.

ونحن نتحدث عن دور الأمن في النهوض يسعُنا أن نؤكد أن كل مواطن خفير يحفظ أمن البلاد ويحافظ عليه، ويتنبّه لكل مؤذ يريد العبث بالأمن والاستقرار، ويدلُّ عليه.

فمن نشر منشورات طائفية تزرع الأحقاد وتثير النعرات وداوم على ذلك فهو عابثٌ بأمن البلاد، ولا بُدَّ من أن نحذَره ونَدُلّ عليه.

ومن خطّط لنشر الفوضى أو نشر الإشاعات المضللة عن رموز البلد عابثٌ بأمن البلاد، ولا بُدَّ من أن نحذَره ونَدُلّ عليه.

ومن نشر الأسلحة خارج إطار الدولة والقانون عابثٌ بأمن البلاد، ولا بُدَّ من أن نحذَره ونَدُلّ عليه.

ومن تعدّى على الممتلكات الخاصة أو العامة عابثٌ بأمن البلاد، ولا بُدَّ من أن نحذَره ونَدُلّ عليه.

ومن تواصل مع أعداء البلد لِيُقدِّم لهم معلومات لا ينبغي البوح بها عابثٌ بأمن البلاد، ولا بُدَّ من أن نحذَره ونَدُلّ عليه.

وهكذا، في كل أمر يؤذي البلاد أو العباد وَجَبَ على الجميع التنبّه له والتحذير منه لنحفظ الأمن والأمان في البلاد، فكل مواطن خفير.

رب اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

والحمد لله رب العالمين